التّركيب الإنشائيّ والخبريّ في سياق النّصّ ودلالاته الثّقافيّة "رجال فى الشّمس أنموذجًا"

م.م. زهراء حسن عبيـــد
ZahraaJKI814@gmail.com
جامعة بابل/ كلية التربية الأساسية

الملخص

تهدف هذه الدّراسة إلى تبيان أثر التّركيب الإنشائيّ والخبريّ في سياق الحدث المرويّ ودلالاته بحسب ثقافة ناقله، وبحسب المجتمع الّذي يتلقّى الخبر، أي الّذي يُروى فيه، من خلال تتبع المفهوم الثّقافيّ لصوغ الجمل اللّغويّة، والكشف عن دلالاتها في بنية الحدث، ولذا اتخذت الدّراسة من رواية "رجال في الشّمس أنموذجًا"، يوضّح ويبيّن مفهوم التّركيب ودوره في إشارات الخطاب اللّغويّ، إذ راوح الإنشاء مع "كنفاني" بين مفهومي التّنفيس عن المكبوتات، والتّعبير عن هواجس النّفس الثّائرة لقضيّتها، وراوح الخبر بين مفهوم المُكاشفة الفاضحة لانتهاكات عربية ودولية بحق شعبه، وبين مفهوم تأريخ الحدث "القضيّة".

وقد استدعت الدّراسة المنهج البنيويّ لبلوغ النّتائج العلميّة المرجوّة والّتي تتمحور حول مفهوم التّركيب ودوره في بنية الخطاب النّصيّ– اللّغويّ وإشاراته المرجعيّة.

الكلمات المُفتاحيّة: التّركيب، الإنشاء، الخبر، السّياق الثّقافي، الدّلالة النّصيّة.

Structural and informative composition in the context of seminars and its cultural connotations

"Men in the Sun as a Model"

Zahraa Hassan Abid
Department of Arabic Language/ College of Basic Education/ University of Babylon

Abstract

This study aims to demonstrate the impact of the structural and news structure in the context of the narrated event and its connotations according to the culture of its transmitter, and according to the society that receives the news, that is, in which it is narrated, by tracing the cultural concept of formulating linguistic sentences, and revealing their connotations in the structure of the event. Therefore, the study was based on the novel "Men in the Sun as a Model". It clarifies the concept of composition and its role in the signs of linguistic discourse, as the composition with “Kanafani” ranged between the concepts of venting

repressed feelings and expressing the concerns of the soul revolting for its cause, and the news story ranged between the concept of scandalously revealing Arab and international violations against his people, and the concept of chronicling the event “the issue”. The study called for the structural approach to achieve the desired scientific results, which revolve around the concept of structure and its role in the structure of textual-linguistic discourse and its referential signs.
Keywords: Structure, Construction, News, Cultural Context, Textual Connotation.

المقدّمة

يُدَاخل كلّ تركيب نصّيّ خطاب كاتب يحمل قضيّته إلى العالم، بلسان لغويّ ثقافيّ، وإلّا لما استحق صفة "الكاتب"؛ سواء أكانت هذه القضيّة شخصيّة ذات دلالات نفسيّة مباشرة، أو مجتمعيّة ذات صلة بتاريخ الشّعوب وما مرّ معها من أحداث تعيشها وتعايشها، كنصوص "غسان كنفاني" النّابضة بثورة شعب يطرق خزانها في كلّ فرصة تُتاح له، لأنّه المولود من رحم معاناة واقعيّة وتاريخ نضاليّ مرير؛ فأبى كاتبه إلّا أن يظهره إلى العلن في خطاب تأريخيّ لغويّ ما زال صداه يتردد إلى يومنا هذا. ولذا اتجهت دراستنا إلى روايته "رجال في الشّمس" رغم كثرة الدّراسات الّتي صادف أن تناولتها، ولكنّ تناول أي رواية لا يعني حتميّة موتها لناحية أن تكون مدوّنة بحث جديد نستلهم منه قضيّة معرفيّة، نسدل ستار البحث العلميّ عنها، فنكشف عن مشكلة جديدة في عمقها. وهذا ما سعينا إلى تحقيقه من خلال اختيار الرّواية كمدونة لهذا البحث الّذي يرمي إلى تبيان دور التّركيب النّصيّ في سياق الخطاب الثّقافيّ ومدلولاته المعرفيّة.

مشكلة الدّراسة:

لكلّ تركيب أسسه المعرفيّة والثّقافيّة، إذ لا يأتي الخبر من غير جملة تامة، وكذلك الانشاء لا يصدر بلا عاطفة تتمحور حول الكاتب ومقدرته اللّغوية على تسخير الحدث خدمة للمضمون، فتتجه هذه الدّراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- كيف خدم التّركيب اللّغوي للنّص دلالة الخطاب ومفاهيمه الثّقافيّة؟
- أيّهما كان الأقرب إلى المضمون النّصيّ الخبر أم الإنشاء؟
- وإلى أيّ مدى يسهم صوغ الجمل اللّغويّ في الكشف عن دلالة الحدث المرويّ؟

فرضيّات الدّراسة:

استنادًا إلى ما سبق من إشكاليّات هذه الدّراسة، نبين الفرضيّات وفقًا لما يلي:

- في عمق كلّ نصّ مفاهيم خطابيّة ولغويّة يحسن الكاتب الماهر إظهارها وتبيانها، خدمة للقصّة الّتي تشكّل المُرسلة اللّغوية إلى المتلقي بحسب مفاهيم اصطلح على تداولها في المجتمع ككل.

- المضمون النّصيّ لا يتضح بشكل جليّ من غير توازن تركيبيّ بين الجمل الخبريّة والإنشائيّة في سياق لغة الخطاب.
- يسهم صوغ الجمل اللّغويّ في الكشف عن دلالة الحدث المرويّ عن طريق الخطاب والجمل المتداولة في سياق المفهوم والمضمون اللّغوي للشعب بعينه.

أهداف الدّراسة

تتضح أهداف دراستنا للتركيب الإنشائيّ والخبري في النّص الرّوائي كمرسلة تستهدف متلقٍ يدرك لغة الخطاب بمفاهيمه الثّقافيّة في ما يأتي:

- تبيان أثر التّركيب الإنشائيّ والخبريّ في سياق الحدث المرويّ، ودلالاته بحسب ثقافة الكاتب الّذي هو ناقل وحامل هذا الخبر، ببنية لغويّة يجسدها في صوغ تركيبيّ، يدلّ على المضمون النّصيّ إن أحسن الصّوغ والموازنة بين مفاهيم الخطاب.
- الكشف عن المفهوم الأقرب إلى المضمون النّصيّ والّذي يتمثّل في التّوازن التّعبيريّ بين السّياق الإنشائيّ والخبريّ.
- توضيح أهميّة الصّوغ اللّغويّ الصّحيح في الكشف عن دلالة الحدث المرويّ في سياق النّص الروائيّ التأريخيّ.

المنهج

حتّى نصل إلى الإجابة عن المشكلة الّتي تطرق فضولنا إلى المعرفة العلميّة من خلال اكتشاف أثر البنية التّركيبيّة في لغة النّص الرّوائيّ، كان لا بدّ من اعتماد المنهج البنيويّ، وهو المنهج الّذي يُعنى بالبحث عن العنصر اللّغوي القائم في شبكة التّرابط النّصيّ، وسياقه المتتابع من حيث الأجزاء، وفق معنى يحمله النّص ونظامه اللّغويّ[١].

هيكليّة الدّراسة

سيرًا وراء الإجابة عن الإشكاليّة وإثبات الفرضيّات الصّحيحة واستبعاد تلك الّتي تباعد البحث عن إطاره المعرفيّ، كان لا بدّ من تقسم هيكليّة هذه الدّراسة إلى عناوين هي:

- التّركيب الإنشائيّ ودوره في بنية النّص اللّغويّ
- التّركيب الخبريّ ودوره في بنية النّص اللّغويّ
- سياق النّص بين الخبر والإنشاء
- الخطاب اللّغويّ ودلالاته الثّقافية في سياق الجمل وهذا ما نعالجه وفقًا لما يلي:

التمهيد

عرّف الإنشاء لغةً بالإيجاد، أمّا **اصطلاحاً** [٢] فهو "كلام لا يحتمل صدقاً ولا كذباً لذاته" ، مثل: "سامح واغفر"، ويعني أيضاً "هو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظّت به **الخبر في**

اللغة هو ما اتاك من نبأ عمن تستخبر, تقول أخبرته وخبَّرته وجمع الخبر: اخبار, والخبير العالم بالأمر والخُبرُ: مخبرة الإنسان إذا جُرِّبَ فبدت أخلاقُهُ [٣]

وجاء في مقاييس اللغة الخاء والباء والراء اصلان فالأول العلمُ والثاني يدل على لين ورخاوة وغزر فالأولُ الخبر: العلمُ بالشيء تقول: لي فعلان خبرةٌ وخبرٌ: والله تعالى ;الخبير اي العالم بكل شيء

فالخبر بشكل عام هو الموصوف بمعنى الصدق او الكذب الصادر من جهة واحدة هي المخبر: خرج زيدٌ فالجملة تكونت من ثلاثة اركان خبرية ألا وهي المُخبر. المُخبر به, المُخبر عنه أي ان احتمالية صدق الخبر او كذبه يعود على المخبر دون غيرهِ [٤]

وعليه فإن هذه الدراسة ملخصة بعرض اطار نظري للأساليب الخبرية لإن هذه الدراسة تستهدف السياق اللغوي للأسلوب وما يطرأ عليه من تغير دلالي نتيجة تغير الأدوات, وعوامل اخرى نصية لما يسبق الجملة الخبرية ويلحقها سواء أكانت العوامل داخلية متمثلة بالقرائن اللغوية والاعرابية او خارجية متمثلة بالعوامل الثقافية والاجتماعية والدينية,

وتتمثل الاساليب الخبرية ما يأتي

١- اسلوب التعجب

٢- اسلوب التوكيد

٣- اسلوب القسم

٤- اسلوب النفي

٥- اسلوب المدح والذم[٥]

أولًا: التّركيب الإنشائيّ ودوره في بنية النّصّ اللّغويّ

يقول " السّيوطي" "الكلام إمّا خبر أو إنشاء ولا ثالث لهما، لأنّه إمّا أن يحتمل الصّدق والكذب أو لا"[٦]. وفي قوله نعثر على أهميّة مفهوم الغرض التّركيبيّ، الّذي نجده يدل على غاية معنوية دلاليّة، تتخفى خلف سطور الحكاية، وتبدو في مهارة كاتبها وجدارته، وقدرته على صوغ متماسك للحدث، يتجلى في سياق الانشاء اللّغويّ وأغراضه المتعدّدة الّتي تراوح بين الطلبيّ وغير الطلبيّ.

إذ يرتبط الإنشاء بمفهوم العاطفة والأسلوب الّذي يعبر فيه الكاتب عن ما يرمي إليه بخصائص فردية، تعكس شخصيّته من خلال المخزون اللّغويّ الّذي يستثمره في الدّلالة على ما يريده، فتتعدد أغراضه الخطابيّة اللّغوية بتعدد المفاهيم الّتي تبدو عاصفة في نفسه.

و"الإنشاء هو قسيم الخبر، والخبر هو ما يحتمل الصّدق والكذب، أمّا الإنشاء فهو الكلام الّذي لا يحتمل الصّدق والكذب لذاته، وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النّطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه"[٧].

ونبدأ من الإنشاء وما يحمله من مفهوم عاصف بهواجس النّفس الانسانيّة، تلك المبعدة والمنفية عن أرضها، والّتي تحمل جذور قضيّة ترمي أن يتردّد صداها في المحافل الدّوليّة بشكل واسع، لنعثر على أغراض متعدّدة لهذا التّركيب بدءًا من مفهوم الإشكاليّة المحوريّة الّتي يقوم عليها النّص اللّغوي لكنفاني؛ وهي:

–لماذا لم تدقوا جران الخزان؟ لماذا لم تقولوا؟ لماذا؟

وفجأة بدأت الصّحراء كلّها تردد الصّدى:

–لماذا لم تدقوا جدران الخزان؟ لماذا لم تقرعوا جدران الخزان؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟"[٨].

لنجد في غرض الاستفهام هذا كلّ معاني الإنكار الدّالة على رفض موت شعب بطريقة ذليلة في خزان تهريب. فالتّركيب اللّغويّ للجملة مع الالحاح على تكرار (لماذا؟) حمل مفاهيم الصّراخ والاستنكار، ورفض الرّضوخ والذّل والهوان، كما حمل دلالة ومفهوم الغضب لمصير بدا القابض على عنق شخصيّات تريد الحياة، وإذ بها تستسلم للموت. ويحمل التّركيب الاستفهامي مفهوم التهويل[٩] لكارثة ومصيبة ألمت بشعب بأكمله من خلال بنية (لماذا؟) الّتي تركت الإجابة مفتوحة على عمق أحداث تتكرر من غير رادع لمجازر يباد فيها شعب بأكمله، إمّا بأرضه وإمّا في بحثه عن سبل الحياة خارج أرضه بعد أن ضاقت بلاد العرب به.

وحمل الانشاء مدلول التّهديد والوعيد مع تكرار تركيب (ماذا تعتقد):

"ماذا تعتقد؟ إن اسمك مسجل في كلّ نقاط الحدود، إذا رأوك معي لا جوزار سفر ولا سمة مرور.. ماذا تعتقد أنّه سيحدث؟ كفاك دلالًا..

ألا تسمع إنّي رجل مشغول جدًا"[١٠].

كما حمل التّركيب الإنشائيّ سياق الاستهزاء الثّقافيّ بأمّة باعت الشّرف واشترت به المال ببعض الشّخصيّات الّتي ارتضت هذا المسلك في قوله:

"–ستصل.. ستصل..

–كيف؟

–إنني أقسم لك بشرفي أنّك ستصل إلى الكويت.

تقسم بشرفك؟"[١١].

فالاستفهام الانكاري التعجبي الّذي يبحث فيه النّاطق عن مدلولات غياب الشّرف عند الشّخصيّة الّتي يخاطبها (تقسم بشرفك؟)، حمل النّقد اللاذع إلى كلّ شخصيّة ارتضت لنفسها الكذب، كما ارتضت أن تجعل الشّرف يساوم عليه، بعيدًا عن قيم عربية كانت تقاتل من أجل الشّرف، وبذلك عكس الكاتب سياق التّبدل الاجتماعيّ الّذي ضرب المفاهيم الحضاريّة والقيميّة عرض الحائط أمام سلطة المال.

ومن أغراض التّركيب الانشائيّ المُفاضحة الاجتماعيّة القائمة على الذّم في سياق دلالة تعبيريّة أوردها الكاتب ليعبّر عن رفضه لمفاهيم التّخلي عن الأهل والأقارب عند زواج الابن:

"–لماذا؟ هل تزوج؟

حدّق مروان إلى أبي الخيزران مدهوشًا ثم همس:

–كيف عرفت؟"(١٢).

وهذا السياق ل (كيف) أسهم في إخراج حقيقة متداولة في المفهوم الشّعبي، ولكنّ الصّبي "مروان" لا يدركها لأنّه لم يختبر الحياة عن كثب. وفي هذا تستحضرنا نظرية الرّاجحي عن السّياق اللّغوي في "اعتبار اللّغة عملًا أو آلة للفكر والتّعبير الذّاتي يعني أنّ للغة جانبين، جانبًا داخليًّا؛ وآخر خارجيًّا. وكل جملة يجب أن تدرس من الجانبين، أمّا الأول فيعبر عن الفكر، أمّا الثّاني فيعبر عن شكلها الفيزيقي باعتبارها أصواتًا ملفوظة"(١٣). وهذا ما نتجه إليه في دراسة ملفوظات الإنشاء الّتي نجدها في الرّواية بأبعاد صوتية دلاليّة مختلفة، تعّبر عن هواجس كلّ نفس بما تحياه من تجارب مُعاشة وتواجهه. ليحمل الاستفهام أبعاد السؤال الواقعيّ عن مجهول مُنتظر لا يدركه المرء "أأنت من سيتولى تهريبنا"(١٤)؛ وليحمل صوغ الاستفهام بالهمزة مفاهيم التردد النّفسيّ من خطوة مجهولة يقدم عليها أبطال الحكاية بكلّ خوف، ولكن لا مهرب لهم من المحاولة. ويحمل الأمر سياق السّلطة الذّكوريّة في المجتمعات العربيّة الّتي ترخي بظلال هيمنة الأب فيها أو العم أو الرّجل الأكبر سننًا ليكون الآمر بشؤون من حوله:

"قال أبوه: –خذ هذه عشرة دنانير.. قد تنفعك.. واكتب لنا دائمًا"(١٥).

ويحمل النّهي والنّفي مفاهيم الطّمع والقسوة والمتاجرة بأرواح بريئة لجني المال:

"لا يمكن أن نتفق قبل أن نعرف التّفاصيل، ما رأي الشّباب؟

لم يجب أحد.." (١٦). وسياق عدم الإجابة حمل مدلول الذّل والهوان الّذي أراد الكاتب أن يعكسه في تركيبة الحدث الدّال على رحلة صعبة ستنهي أبطاله كما نهت شعبه.

وأبدى السّياق الاستفهاميّ عدم الثّقة القائمة في سطور الحكاية على مبدأ الخذلان، فالشعب المغدور لا يثق بأحد، ومن ذلك ينطلق الكاتب في مفهوم الأسئلة الّتي راحت الشّخصيّة تطرحها من غير أن تثق بأنّها منجية لها، فقد خذلت عربيًّا قبل أن تخذل عالميًّا:

"–هل أنت متأكد من أنّ الدليل الّذي سترسله معنا لن يهرب؟

–كيف يهرب أيها الغبي؟ ستكونون أكثر من عشرة أشخاص..

–وإلى أين سيوصلنا؟

–هل سنمشي كثيرًا؟"(١٧).

وقد حمل تركيب (هل سنمشي) مفهوم الدرب الطويل الّذي أرهق الشّعب، من غير وصول إلى نهاية مرضية له حتّى الآن. في حين حمل سياق الانفعال والشّتيمة (أيها الغبيّ) مع النّداء، مدولات باطنيّة لحقيقة غباء كلّ شخص يثق بتجار الموت والمهربين.

وحمل التّعجب دلالة عدم الفهم في سياق النّص اللّغويّ:

"–أبو الخيزران متعجل اليوم!" (١٨)

وأخفى التّعجب جريمة ارتكبت بسبب جهل وحماقة دوليّة، بدت مخفيّة كتخفي خيوط القضيّة، ليربط الكاتب من خلالها مفاهيم الوجع، وليحاول أن يوقظ من ناموا في سبات عميق عن حال شعبه، حتّى بات هذا الشّعب المدمر المنفيّ الّذي يواجه أهوال الموت:

–هه! الشباب يملأون الأرض كالفقع.

–ماذا تحمل معك؟

–أسلحة! دبابات! ومصفحات! وست طائرات ومدفعين"(١٩).

والحديث عن الأسلحة وعن الشّباب فيه مزج تركيبيّ لواقع مرير يتكرر على مرآى العالم دون أن يحرك له أحدٌ ساكنًا. وبذلك نجد أن التّركيب الإنشائيّ حمل مدلولات الرّسائل اللّغوية الّتي داخلت رفض الكاتب لما يحدث، والثّورة على واقع ما عاد يرتضيه.

ثانيًا: التّركيب الخبري ودوره في بنية النّصّ اللّغويّ

يقول السّكاكيّ في باب الخبر "اعلم أنّ مرجع الخبرية، واحتمال الصّدق أو الكذب إلى حكم المخبر الّذي بحكمه في خبره، بمفهوم لمفهوم، كما تجده فاعلًا ذلك"(٢٠). ويحمل الخبر في تركيب النّصّ اللّغوي عند كنفاني مفاهيم الايضاح والتّفسير الّتي عكسها في تبيان أحوال شعب تبدلت بشكل مفاجئ من خلال قوله:

"أراح أبو قيس صدره فوق التّراب النّديّ"(٢١)، فمفهوم الرّاحة في سياق هذا الخبر غدا الحلم المُطارد مع رجل كهل يحن إلى أرضه ويحاول استرجاع ذكرياته فيها، كلّما اختلى في مكان فيه تربة تعيد له لحظات يحاول قدر الامكان أن يعزي نفسه بمرورها في ذاكرته أمام هول ما يجابه به في حاضره: "فبدأت الأرض تخفق من تحته: ضربات قلب متعب تطوف في ذرات الرّمل"(٢٢). وبدا السّياق الخبريّ في النّظر إلى السّماء يحمل دلالة الطّلب المبطن من رب السّماء بفرج قريب، تسمو إليه النّفس وتطلب من خلاله الرّاحة والاستقرار: "دور جسده واستلقى على ظهره حاضنًا رأسه بكفيه وأخذ يتطلع إلى السّماء"(٢٣).

وحمل سياق الخبر مدلول وتركيب الوصف القائم على تبيان هيئة الشّخصيّة وحالها: "الأستاذ سليم العجوز النّحيل الأشيب"(٢٤).

وفي بنية الخبر التّركيبيّ جاءت رغبة معارضة الأقدار ومحاولة انقاذ فشلت أمام حتمية الموت:

"زود ضغط قدمه فوق المضغط كيما تتسلق السيارة الهضبة دون أن تتباطأ وأحس بأنّ عضلة ساقه قد تكوّرت حتّى أوشكت أن تتمرغ"[٢٥]. وطوت الشّمس الرّمز التركيبي واللّغوي الأساس في هذه الرّواية خبرها مع انتهاء أبطالها موتًا شنيعًا في خزان لم تسمع فيه طرقات الحياة: "الشّمس في وسط السّماء ترسم فوق الصّحراء قبّة عريضة من لهيب أبيض، وشريط الغبار يعكس وهجًا يكاد يعمي العيون"[٢٦]. لتكون العيون في سياق الخبر الجملة المقصودة من التّركيب اللّغوي القائم على سياق الذّم، فهي كلّ عين عربية شهدت على موت الشّعب الفلسطينيّ دون أن تحرك نفسها لصدّ أي عدوان عنه.

وبذلك بدت رمزية التّركيب الخبريّ تحمل سياق الهجوم المبطن على كلّ من رأه الكاتب مُتخاذلًا عن نصرة قضيته. وأبدى كنفاني في خبره سياق التأريخ لقيادة فشلت لا بل عجزت على أن تصل إلى مآرب شعب يحارب من أجل العيش من خلال جملة (قاد) التي جسدت في تركيبها اللّغوي مفاهيم (القادة) وذلك في قوله: "قاد أبو الخيزران سياراته الكبيرة حين هبط الليل متجهًا إلى خارج المدينة النائمة"[٢٧].

وحمل سياق (الكبيرة) رمزية التّركيب النقدي، لرجل لا يحمل كفاءة القيادة، ويحمل مسؤوليّة تبدو أكبر من أن يجسدها بشكل سليم، ولذا حملت موت من احتمى به كدرب نجاة، فكانت النّهاية تحت لهيب شمس حارقة. أمّا الليل فإنّه في رمزيته جسد ظلمة حالكة، حلّت على شعب بأكمله.

وقد جسد السّياق الخبري الثّورة الّتي أطلقها "كنفاني" مع صرخة خزان لم يُسمع فيه نداء الأبطال، فكان هو البطل الّذي أرّخ للعالم "رواية في سياق خبري" محمّل بالكثير من جمل التّعبير عن الواقع الّذي لا يرتضي فيه الذّل ولا الهوان.

ثالثًا: سياق النّص بين الخبر والإنشاء

شغل موضوع الرّمز اللّغوي وسياق استخدامه العلماء، وتفاوت اقبالهم على إدراك وتبيان العلاقة بين الرّمز اللّغوي كدال وبين مدلول ما يرمز إليه[٢٨].

وهذا ما يسعى البحث إلى تبيانه من خلال علاقات الجمل في سياق الخطاب اللّغوي وارتباطها ببعضها البعض من خلال بنية التّركيب النّصيّ.

وقد أبدى المزج بين الخبر والإنشاء سياق الواقع اللّغوي الّذي يعبر فيه المتكلم عن حاله، ويخبر عن هواجسه حيال أيّ واقعة يصادفها، كما في تعبير شخصيّات كنفاني عن وجعهم في خزّان وجدوا أن محاولة الفرار من خلاله باب دخول إلى "جهنم" بكلّ ما يحمله التركيب من بوح واقعيّ، فغالبًا ما نستخدم عبارة "جهنم" لتبيان استنكارنا لواقع مؤلم، وهذا التّركيب استخدمه الكاتب على لسان الشّخصيّات:

"هذه جهنم الّتي سمعت عنها.

-جهنم الله؟

-نعم.

مدّ أبو الخيزران يده فأطفأ المحرك، ثم نزل ببطء فتبعه مروان وأبو قيس بينما بقي أسعد معلقًا فوق"[٢٩].

ونجد في تركيب جملة (معلقًا) أمل علّقه الشّاب الباحث عن رغيد العيش في صحراء قاحلة، كما سبق أن علّق شعبه آماله على فرصة تنجيه ولكنّ مرارة الواقع كانت (جهنم) الّتي بدت في سياق الاستفهام التّعجبي لقدر لا مفر منه.

ونعكس في تحليلنا للمفهوم اللّغوي للسياق الخبري والانشائيّ نظرية تشومسكي الّتي تفيد بأنّ "النّحو ليس تحليلًا للجملة في شكلها النّظمي فحسب، ولكنّه الوصف الشّامل للغة، أي أنّه يشمل الفونولوجيا، والنّظم الدّلالة"[٣٠]. وهذا ما نبينه من خلال مفهوم "الظن" و"الحقيقة المعاكسة" أي المشهد المُخادع الّذي ظنّ الرجال عليه "الشّخصيّة المحوريّة" في حين أنّها العاجزة، وهذا المفهوم اللّغوي لم يمتزج في سياق الجمل ومفهومها من غير تنويع الأساليب في تركيب الحدث الّذي يراوح بين مفهوم الاخبار والبوح على لسان الشّخصيّات الهزليّة:

"-آه يا ملعون يا أبا خيزرانة! لماذا لا تتذكر أنك على عجلة حين تكون في البصرة؟ ها؟

-قلت إنّ السّيارة كانت في الكاراج.

دفع له القلم مرة أخرى، إلّا إنّ أبا باقر لم يتحرك:

-لا تكذب يا أبو خيزرانة.. لا تكذب.. الحاج رضا حكى لنا القصّة من الألف للياء..

أية قصّة؟"[٣١] .

ويبدو في سياق الاستفهام حقيقة فاقت سياق التّوقع القولي القائم على عدم فهم ما يحدث، وعلى حماقة عربية في التلهي بقصص النّساء والعزوف عن حقيقة أساس يجسدها الحدث وتتمثل في مصير شعب يجابه الموت أمام عالم لا يحرك أيّ ساكن لموته، فيحيل (القلم) بكل ما يحمله من رمز تركيبيّ دال على اتفاقيات ومعاهدات لم تنصف الفلسطينين فكانت حبرًا على ورق واقع مرير عبّر الكاتب عنه بانكاره للخذلان واستنكاره لما يحدث، وعدم قبوله الهوان.

ويحمل الكلام محاولة نجاة للنفس التائهة بين وقائع الخبر وما تبوح به عن ما تعانيه وذلك في محاولة ابعاد كلّ فكرة تطرق هاجس النّفس المحطّمة:

"-لا تجعل من القضية مأساة، هذه ليست أول مرّة.. هل تعرف ما الّذي سيحدث؟ سنتنزلون إلى الخزان قبل نقطة الحدود في صفوان بخمسين مترًا"[٣٢] .

وفي سياق الخبر والانشاء مفهوم الهبوط المتجسد بالنزول في تركيب الجمل لتخبر بسوداوية لم يكن بعدها خروجًا إلى حياة جديدة. فكان النّهي وترداد عبارة (أول مرّة) يشير إلى سياق قول فيه يتردد الموت آلاف المرات مع شعب يحاول أن يحيا في ظلّ سياق ثقافيّ يشير في الرّواية إلى مفاهيم القضية الّتي يختزلها:

"-هزّ أسعد رأسه ثمّ حدّق إلى الأرض لبرهة..

-هل يوجد ماء في الخزان

-انفجر أبو الخيزران ضاحكًا وابتسم أسعد:

-طبعًا لا.." (٣٣) .

وفي سياق التّأكيد الّذي تبع الاستفسار عن (المجهول) بدت طبعًا تركيبًا قطع الشّك بيقين واقع لم يأتِ بمياه الحياة لشعب حاول أن يرتوي ليعيش.

وهذا ما يحيلنا إلى تفسير ما بعد الكلمة إذ إنّ "للكلمة دلالة مباشرة ودلالات أخرى تتصل بهذه الدلالة المباشرة جاءت عن طريق التطور الدلالي"(٣٤).

وهذا التّطور اكتسب مع كنفاني مفهوم ما بعد الكلمة وسياقها نحو انعكاس ثقافة اختزلها في حقبة زمنيّة أطلّ فيها على نكبة الواقع المرير لشعبه المتخبط بحثًا عن الاستقرار.

رابعًا: الخطاب اللّغويّ ودلالاته الثّقافية في سياق الجمل

خاطبت الرّواية كلّ مهتم بمفاهيم النّضال من عمق سياق لغوي تركيبيّ فيه حشد لأفكار واسعة حول مفاهيم التّشتت والضّياع والموت أمام رهبة القرار الخاطئ الّذي يدفع ثمنه كلّ متمسك بحياة لم تكتب له.

وقد تراوحت الجمل بين سياق القسوة والمألوف والصّد والهجوم والاستنكار والبوح وتجسيد المعاناة، وهذا ما نقف في معالجته مع قول تشومسكيّ الّذي يعدّ "الانسان صاحب اللّغة أو المتكلّم السّامع المثالي في مجتمع لغويّ يعرف لغته معرفة كاملة"(٣٥). وبهذا نجد كنفاني المتكلّم النّاطق والشّاهد بأهوال عاصفة بشعبه كتب ليخلدها في خطاب جمل صاخبة، موجهًا خطابه إلى قادة العالم وكلّ من مرّ على "رجال في الشّمس"، ليقف عند عمق مكتنزاتها اللّغوية وجملها الّتي تراوح بين الخبر والإنشاء، وقد وظّف كلّ أشكال الكلام لتبيان أخباره من خلال الخطاب الّذي يعرفة الرّاجحي بأنّه "كل أشكال الكلام المُوَجَّه إلى الغير سواء كان في شكل كلام مكتوب أو منطوق"(٣٦).

وقد عكست جمل القول الاستهزاء الطبقيّ في سياق ثقافيّ جسد الواقع ومفاهيمه:

"ولكن ماذا يهرب الحاج رضا؟ لقد قلت إنّه رجل ثريّ!

نظر الجميع إلى أبي الخيزران الّذي كفّ فجأة عن الابتسام وعاد وجهه يكتسي بطابع اللامبالاة والتّسلط ثم قال بحزم:

-والآن كفوا عن الثّرثرة.. يجب أن لا تعتقد يا سيد أسعد أنّك ذكي إلى هذا الحد"(٣٧).

"لعل من الحقائق الثّابتة في حياة الأدب- أيا كان نوعه أو زمنه- أنّه يعكس التّطور المستمر في الحياة: حياة الانسان، وحياة الفكر، وحياة العصر"(٣٨).

وحملت دلالات (الكف) مفاهيم القمع والمنع والسّلطة الّتي لا ترتضي أن تُسأل عن الأخطاء الّتي ترتكبها وهذا من المفاهيم الثّقافيّة المتداولة في سياق المجتمع العربي.

وبذلك أدى السّياق الثّقافيّ للحدث المروي، تصريحًا قائمًا على البوح، وازن كاتبه بين تركيب الخبر والإنشاء لقصديّة الإعلام بالحدث والتّعبير عن ما في نفسه من حسرة تجاه مرارة هذا الحدث.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث، نقول الحمد لله ربّ العالمين أنّه وفقنا إلى اتمامه، ونتمنى أن نكون قد أنرنا درب الباحثين إلى جديد علمي حول مفهوم البناء التّركيبيّ للجمل الإنشائيّة والخبريّة في سياق الحدث المرويّ ومدلولاته الثّقافيّة، كما نتمنى أن تكون دراستنا لهذه الرّواية الّتي أستثمرها الباحثون في غير ميدان معرفيّ أسهمت في العودة من جديد إليها لثرائها المعرفيّ وغناها المضموني.

ونلخص نتائج الدّراسة في كون أثر التّركيب الإنشائيّ والخبريّ في سياق الحدث المرويّ يكمن في ثقافة الرّاوي نفسه، وتأثّره بموضوعه المرويّ، وبخاصّة إذا كان تاريخيًّا يهدف إلى مكاشفة اجتماعيّة فيها الكثير من وجوه المفاضحة، والكشف عن المعاناة في قالب التأريخ الرّمزي كما في رواية رجال في الشّمس، المحملة بإشارات متنوعة من أساليب الخطاب اللّغويّ التّعبيريّ الّذي نطق فيه الكاتب باسم شخصيّاته مركبًا الجمل وفق منطق يرتضيه في الحديث عن ثورته الدّاخليّة والاجتماعيّة في سياق الرواية كعمل أدبيّ ثقافيّ، وقد هدفت الجمل الإنشائيّة في الرواية إلى التّنفيس عن المكبوتات، والتّعبير عن هواجس النّفس الثّائرة لقضيتها، في حين بينت الجمل الخبريّة وقائع لا يعرفها إلّا من يعانيها ويعاني الظّلم والحرمان، ففضحت الانتهاكات العربيّة والدّوليّة بحق الشّعب الفلسطينيّ مؤرخة قضيته.

وعليه؛ أوصي الباحثين بضرورة النّظر إلى مفهوم التّركيب الإنشائيّ والخبريّ بعين ما بعد السّطور لاستنطاق مدلولات يحملها الخطاب اللّغويّ في سياقه الثّقافي المتمحور حول التّجربة الذّاتية والاجتماعيّة، كما أوصي بضرورة استنطاق أعمال غسان كنفاني في دراسات لغويّة تبحر في منهجه التركيبي الّتي قامت عليها منظومة الخطاب عنده.

الهوامش

[١] جرجور، مهى، وجوزف لبّس (٢٠٢٠)، دليل مناهج البحث العلمي، كليّة الآداب، الجامعة اللّبنانيّة، بيروت، ط١، ص ١٩.

[٢] تهذيب اللغة، ابي منصور محمد بن أحمد الازهري ت٣٧٠ هجرية ت: عبد السلام سرحان الدار المصرية للترجمة والتأليف، مطابع القاهرة ص٨.

[٣] معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا ت٣٩٥ هجرية ت: عبد السلام محمد دار الفكر للطباعة والنشر ١٣٩٩ ص٤٠ جزء ٢. ومعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف خلف الله احمد، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، إشراف د.شوقي ضيف د.ت د.ط ص١٤٦.

[٤] ينظر دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القادر الجرجاني ت ٤٧١ تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة القاهرة ١٣٧٥، ص٥٢٨٠.

[٥] ينظر دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القادر الجرجاني ت ٤٧١ تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة القاهرة ١٣٧٥، ص٢٢٧-٢٢٨.

[٦]شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، السّيوطي، جلال الدّين (٢٠١١)، تحقيق أحمد إبراهيم محمد الحمداني، دار الكتب العلميّة، بيروت، ص ٥٦.

[٧]علم المعاني، عتيق، عبد العزيز (٢٠٠٩)، دار النهضة العربية للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط١، ٦٩.

[٨]رجال في الشّمس، كنفاني، غسان (٢٠١٣)، دار منشورات الرّمال، قبرص، ط١، ص ١٠٩.

[٩]جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي، أحمد (د.ت)، دار الحديث، القاهرة، ص ١٠٣.

[١٠]رجال في الشّمس، كنفاني، غسان (٢٠١٣)، ص ٢٤.

[١١] المصدر السابق نفسه، ص ٢٥.

[١٢]رجال في الشّمس، كنفاني، غسان (٢٠١٣)، ص ٤٧.

[١٣]النّحو العربي والدّرس اللّغوي "بحث في المنهج"، الراجحي، عبده (١٩٨٦)، دار النّهضة العربيّة، بيروت، ط١، ص ١٢٤.

[١٤]رجال في الشّمس، كنفاني، غسان (٢٠١٣)، ص ٥٢.

[١٥]رجال في الشّمس ,كنفاني، غسان (٢٠١٣)، ، ص ٥٠.

[١٦] المصدر السابق نفسه، ص ٥٢.

[١٧] المصدر السابق نفسه، ص ٢٦.

[١٨]رجال في الشّمس, كنفاني، غسان (٢٠١٣)، ، ص ٧٩.

[١٩] المصدر السابق نفسه، ص ٧٩.

[٢٠]مفتاح العلوم السّكاكي، أبي بكر محمد بن علي (١٩٨٣)، ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ص ١٦٦.

[٢١] رجال في الشّمس، كنفاني ,غسان ,ص ٧.

[٢٢]المصدر السابق نفسه ص ٤٧.

[٢٣]المصدر السابق نفسه، ص ٨.

[٢٤]رجال في الشّمس، كنفاني، غسان (٢٠١٣)، ص ٨.

[٢٥] المصدر السابق نفسه، ص ٨٠.

[٢٦] المصدر السابق نفسه، ص٩٠.

[٢٧]رجال في الشّمس كنفاني، غسان (٢٠١٣)، ، ص١٠٥.

[٢٨]فقه اللّغة في الكتب العربية، الراجحي، عبده (د.ت.)، دار النّهضة العربيّة، بيروت، ص ٦٥.

[٢٩]رجال في الشّمس، كنفاني، غسان (٢٠١٣)، ص ٩٠.

[٣٠]النّحو العربي والدّرس الحديث "بحث في المنهج, الراجحي، عبده (١٩٨٦)، "، ص ١٢٧.

[٣١]رجال في الشّمس كنفاني، غسان (٢٠١٣)، ، ص ٩٦.

[٣٢]المصدر السابق نفسه، ص ٨٥.

[٣٣])، رجال في الشّمس، كنفاني، غسان (٢٠١٣)، ص ٥٩.

[٣٤]مقدمة لدراسة اللّغة، خليل، حلمي (١٩٩٦)، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية، ط١، ص ١٦٣.

[٣٥]النّحو العربي والدّرس الحديث "بحث في المنهج"، الراجحي، عبده (١٩٨٦)، ص ١١٤.

[٣٦]معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، مختار، أحمد (٢٠٠٨)، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ج١، ص ٣٥٤.

[٣٧]رجال في الشّمس، كنفاني، غسان (٢٠١٣)، ص ٣٦.

[٣٨]دراسات في النّقد الأدبي المعاصر ,العشماوي، محمد زكي (١٩٨٧)، ، دار النّهضة العربية، بيروت، ص ١١.

المصادر والمراجع:

- جرجور، مهى، وجوزف لبّس (٢٠٢٠)، دليل مناهج البحث العلمي، كليّة الآداب، الجامعة اللّبنانيّة، بيروت، ط١.
- السّيوطي، جلال الدّين (٢٠١١)، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، تحقيق أحمد إبراهيم محمد الحمداني، دار الكتب العلميّة، بيروت.
- عتيق، عبد العزيز (٢٠٠٩)، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط١.
- كنفاني، غسان (٢٠١٣)، رجال في الشّمس، دار منشورات الرّمال، قبرص، ط١.
- الهاشمي، أحمد (د.ت)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الحديث، القاهرة.

- الراجحي، عبده (١٩٨٦)، النّحو العربي والدّرس اللّغوي "بحث في المنهج"، دار النّهضة العربيّة، بيروت، ط١.
- السّكاكي، أبي بكر محمد بن علي (١٩٨٣)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١.
- الراجحي، عبده (د.ت.)، فقه اللّغة في الكتب العربية، دار النّهضة العربيّة، بيروت.
- خليل، حلمي (١٩٩٦)، مقدمة لدراسة اللّغة، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية، ط١.
- مختار، أحمد (٢٠٠٨)، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب، القاهرة، ط١.
- العشماوي، محمد زكي (١٩٨٧)، دراسات في النّقد الأدبي المعاصر، دار النّهضة العربية، بيروت.

Sources

1. Jarjour, Maha, and Joseph Labbas (2020), Guide to Scientific Research Methods, Faculty of Arts, Lebanese University, Beirut, 1st edition.
2. Al-Suyuti, Jalal al-Din (2011), Explanation of the Contracts of Juman in Meanings and Bayan, edited by Ahmed Ibrahim Muhammad al-Hamdani, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut.
3. Atiq, Abdul Aziz (2009), The Science of Meanings, Arab Renaissance House for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, 1st edition.
4. Kanafani, Ghassan (2013), Men in the Sun, Al-Rimal Publications House, Cyprus, 1st edition.
5. Al-Hashemi, Ahmed (D.D.), Jawahir al-Balagha fi al-Ma’ani wa al-Bayan wa al-Badi’, Dar al-Hadith, Cairo.
6. Al-Rajhi, Abdo (1986), Arabic grammar and linguistic lesson, “Research in the Method,” Dar Al-Nahda Al-Arabiyya, Beirut, 1st edition.
7. Al-Sakaki, Abu Bakr Muhammad bin Ali (1983), Miftah al-Ulum, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1st edition.
8. Al-Rajhi, Abdo (D.T.), Philology in Arabic Books, Dar Al-Nahda Al-Arabiyya, Beirut.
9. Khalil, Helmy (1996), Introduction to the Study of Language, University Knowledge House, Alexandria, 1st edition.
10. Mukhtar, Ahmed (2008), Dictionary of Linguistic Correctness, Guide to the Arab Intellectual, Alam al-Kutub, Cairo, 1st edition.
11. Al-Ashmawy, Muhammad Zaki (1987), Studies in Contemporary Literary Criticism, Dar Al-Nahda Al-Arabi, Beirut.